رسائل أعضاء الإرسالية التبشيرية الأمريكية في الخليج

التقرير الثالث: "حدّ الوتد"

لـ سي. ستانلي ج. ميلري (C. Stanley G. Mylrea)(*)

ترجمة: أ. تركي بن فهد بن عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود

تمهيد:

كاتب هذا التقرير التحق بالإرسالية الأمريكية في عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، وفيما بعد أصبح القائم على أعمالها في الكويت إلى أن غادرها إلى الهند عام ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م تقريبًا(١) ومع كونه هو من تلقى الدعوة من الملك عبدالعزيز - رحمه الله - لزيارة الرياض، كما سيوضح في هذا التقرير، إلا أنه لم يكن هو الزائر لها نظرًا لانشغاله بأعمال الإرسالية في الكويت(٢).

(*) C. Stanley G. Mylrea, “The Thin Edge of the Wedge”, Neglected Arabia, 92 (Jan.-Feb.-Mar., 1915), p. 17-22.

(1) “Personalia”, Neglected Arabia, 194 (Oct.-Nov.-Dec., 1941), p. 16.

(٢) نشر بول أرميردينغ (Paul Armerding) جزءًا من عمل غير منشور مما كتبه الدكتور ميلريا عن زيارته للملك عبدالعزيز في =

وكان الملك عبدالعزيز - رحمه الله - قد خيَّم في الصبيحية قُرب الكويت قادمًا من الجبيل، وذلك ليلتقي بوفد من الدولة العثمانية برئاسة السيد طالب النقيب، وعضوية كل من: المقدم عمر فوزي، وسامي بك متصرف الأحساء، وأحمد باشا الصانع، وعبداللطيف المنديل(٣) للتفاوض معه بعد استعادته للأحساء. وقد تمَّ اللقاء في ٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٢هـ / ١ مايو ١٩١٤م، ثم غادر الوفد بعد أن طلب مُهلة لمراجعة إسطنبول في الشروط التي وضعها الملك عبدالعزيز، ومكث الملك عبدالعزيز قرابة أسبوعين، إلى أن عاد الوفد بالموافقة من إسطنبول مع تقديم الشكر للملك والوسام العثماني الأول(٤).

وخلال تلك المُدَّة كانت الزيارة، التي يتناولها هذا التقرير، إلى الملك عبدالعزيز، وكان معظم جيش الملك يُعاني من

= كتابه: أطباء من أجل المملكة: عمل مستشفيات الإرسالية الأمريكية في المملكة العربية السعودية ١٩١٣ - ١٩٥٥م، ترجمة: عبدالله بن ناصر السبيعي، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز (١٤٢٥هـ)، ص ٣٩-٤٢.

(٣) انظر: حسين خلف خزعل، تاريخ الكويت السياسي، د.ن: (د.ت)، ج٢، ص٢٠٢-٢٠٣.

(٤) انظر: خزعل، السابق، ص٢١١؛ سهيل صابان، الجزيرة العربية: بحوث ودراسات من وثائق الأرشيف العثماني والمصادر التركية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ص٢٦٩، ٢٨٧؛ خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، بيروت: دار العلم للملايين (١٩٨٥م)، ج١، ص٢١٣؛ الملك عبدالعزيز آل سعود: سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، الرياض: دار الدائرة (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ج١، ص٤٩٣.

الملاريا، نتيجة لقدومهم من الأحساء التي كان منتشرًا بها، بالإضافة إلى أن الملك كان يعاني من روماتيزم عضلي في كتفه(٥).

النص المترجم:

في صباح يوم الأحد التاسع من مايو [سنة ١٩١٤م، الموافق ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٢هـ] حضر إليّ سيدان عربيان يبلِّغاني تحيات عبدالعزيز بن سعود، ودعوته لي لزيارته زيارة طبيَّة في مخيَّمه الذي يبعد حوالي عشرين ميلاً عن الكويت، وقالا: إنهما كان في نيَّتهما أن يدعواني اليوم، ولكن الشيخ الحاكم هنا قال لهما إنني أخرج فقط للحالات الطارئة في أيام الأحد. وأضاف الشيخ [مبارك]: "المُبشِّرون لا يعملون في يوم الأحد، ويُصلُّون فيه مرتين، أعلم ذلك لأن الطبيب كتب إليّ مؤخرًا بذلك كسبب لعدم مجيئه عندما دعوته إلى مخيَّم منذ بضعة أسابيع. ولن يأتي إليكم في يوم أحد، إلا إن كانت الحالة المرضيَّة خطيرة" وفي هذه الحالة [سألاني]: "هل يمكنني المجيء إليهم غدًا؟" أجبت بأنني سأكون سعيدًا بذلك. وإنني مستعدّ للذهاب حالاً إن كان عبدالعزيز يحتاجني الآن. [فردّا]: لا، ليس ذلك ضروريًا، الشيخ [عبدالعزيز] يُعاني من ألم في كتفه الأيمن، ولا يحتاج إلا لمشورة الطبيب قبل أن يعود إلى بلاده التي لا يوجد بها طبيب غربي، ويوم الغد مناسب جدًا [لقدومي]. ولكن في

---

(5) “Mission News”, Neglected Arabia, 90 (July-August-Sept., 1914), p20.

أي وقت؟ اقترح أحدهما: "ساعة قبل الشروق"، ولكن رفيقه ردَّ عليه قائلاً: "هؤلاء ليسوا بدوًا، هؤلاء يستحمّون أولاً ويرتدون ثيابهم، ثم يشربون قليلاً من الشاي، ويأكلون القليل من الخبز. فساعة قبل الشروق مُبكِّرة جدًا بالنسبة إليهم"، وهنا تدخَّلت قائلاً: سأكون جاهزًا عند الشروق. عندها أخبراني بأن الشيخ مبارك قد وضع سيارته تحت تصرفي لأستطيعِ الذهاب مرتاحًا وبسرعة. ثم طلبا مني طلبًا أخيرًا، وهو أن أحضر معي أدوية عامَّة؛ لأعالج بعض رجال ابن سعود، بعدها خرج الرسولان من الغرفة.

في الصباح التالي وصل قبل الشروق رجل من طرف الشيخ مبارك وقال: إن السيارة معطّلة، ولكن إحدى عربات الخيل العائدة إليه كانت جاهزة بانتظاري، وأن اثنين آخرين من الخيل قد سبقا لكي يتسنى لنا تبديلهما في منتصف الطريق. وأضاف الرسول بأنه إن بكَّرت في الخروج كان ذلك أفضل، بسبب شدَّة حرارة الشمس على الخيل، فتعجَّلت، وأصبحنا على الطريق في وقت قصير. وكان صباحاً جميلاً، وكان منظر الصحراء فاتنًا مع خلوها من النباتات بسبب أسراب الجراد في الماضي القريب.

كان مخيَّم ابن سعود يقع على بعد حوالي ميل واحد عن الجهراء، وبما أن الطريق بين الكويت والجهراء يمرّ بصحراء ذات أرض صلبة، فقد جعل ذلك عربة الخيل تسير بسهولة، وفي أقل من ثلاث ساعات كنا قد وصلنا إلى الجهراء التي تركنا بها عربة الخيل، ثم امتطينا خيلاً [أخرى] لقطع

المسافة القصيرة المُتبقِّية، والتي تبلغ ميلاً واحدًا، وهو ما يفصلنا عن مخيَّم ابن سعود.

ظهرت الخيام البيضاء المُتلألئة بوضوح تحت ضوء الشمس، والتي كان هناك منها مئتان على الأقل، وكنت متفاجئًا إلى حدٍّ ما لرؤية خيام بيضاء، ولكن "خيام قيدار السود" قد قلَّ استعمالها بين الحُكّام، و"بيت الشَّعر" وهو الخيمة التقليدية للعرب، هي الآن خيام للبدو فقط.

وعندما اقتربت رأيت أن خيمة الشيخ كانت في نهاية صفّ طويل من الخيام المنصوبة على خط مستقيم... وقدم الخدَّام عند وصولي، وقادوني فورًا إلى ابن سعود شخصيًا. فنهض لاستقبالي عند دخولي من باب الخيمة، وأجلسني إلى جانبه تكريمًا لي.

كانت الخيمة مفروشة بالفرش التقليدي - سجاد إيراني - ليجلس عليه الشيخ، ومراكٍ من أكوار الإبل مُغطَّاة بجلد الأغنام عوضًا عن الوسائد، مع قليل من الألوان التي أُضيفت في شكل زخارف مُعلَّقة على أعمدة الخيمة، ولكن حميميَّة المكان خفتت بوجود صف طويل من بنادق جيّدة الصنع عُلِّقت على جانب واحد من الخيمة. وفي الوقت الذي ينهض فيه ابن سعود، يجد المرء نفسه متأثّرًا بشخصية الرجل؛ فطوله يبلغ ستة أقدام كاملة، وهو عريض بشكل متناسق - جسم رياضي بكل معنى الكلمة - حَسَن الشكل، مُتناسق الأعضاء. والأفضل من ذلك كله أنك لا ترى فيه آثار الترف الذي يؤثّر غالبًا في الشباب من العائلات الحاكمة في جزيرة العرب، وله وجه بشوش ووسيم، وتشعر مُباشرة بأن "هذا رجل أستطيع الوثوق به".

قال لي لما جلسنا: "بدأت أظن أنك لن تأتي، فأنا أنتظر قدومك منذ ساعتين تقريبًا". فكان عليّ أن أشرح أن سيارة [الشيخ] مبارك خيَّبت أملنا، وأنه كان علينا أن نستخدم الخيل، وهي الوسيلة الأبطأ ولكنها الأجدر بالاعتماد عليها.

ثم أُحضرت القهوة وأخذ النقاش يتّخذ منحى عامًّا نوعًا ما. ثم اقترح أن أُلقي نظرة على كتفه، وأصف له دواء للألم. وعند الانتهاء من ذلك سألني إن كان لدي مانع من التجوُّل في المخيَّم لفحص بعض رجاله المرضى. وكانت كل الحالات، ودون استثناء، تُعاني من مرض الملاريا، وبالتالي نَفَدَ مقدار كبير من الكينين (quinine) الذي كان معي. وعندما قارب ذلك على الانتهاء قابلني أحد رجال الشيخ مُعتذرًا بأنه جعلني أعمل كل هذا الوقت قبل أن آخذ قسطًا من الراحة، فضحكت واستمريت في العلاج إلى أن لبّيت آخر طلب للكبسولات والمساحيق، عندها عُدت إلى خيمة الشيخ مع رسوله، فشكرني بلطف على صنيعي، فانتهزت الفرصة بسؤاله عن ما سيفعله بخصوص تابع له كنت قد كشفت عليه بالأمس، وكان يحتاج إلى عملية جراحيَّة. فكان ردّه أنه لا يستطيع ترك الرجل في الكويت الآن، ولكن إن كان الأمر ضروريًا فإنه سيُرسل في طلبي للقدوم إلى الرياض لرؤية الرجل، إن استدعى الأمر. فقلت: إنني سأكون سعيدًا جدًا لفعل ذلك، وأضفت بأن زيارة نجد هي إحدى طموحاتي الكبرى. فقال: "أهلاً وسهلاً، ولكن بشرط واحد! وهو أن تترك رعيَّتي وشأنها فيما يخص الدين...".

وكنا قد قضينا وقتًا بمفردنا، ثم استدعى رجلاً للحضور بين يديه، ولم يمض وقت طويل حتى دخل الرجل الخيمة وانهار تمامًا يبكي كالطفل أمام الشيخ. فقال ابن سعود: "هوِّن عليك، أنت مُسامَح. اذهب" فاقترب الرجل وقَبَّل يد الشيخ، وخرج من الخيمة بهدوء. وعندها قال ابن سعود: "لقد اقترف ذنبًا ليس بالهيِّن، وهو رجل كبير ولم يكن يجدر به ذلك. ولكن هؤلاء الرجال يجب أن يُعاملوا كالأبناء - أي يجب أن لا يكون المرء قاسيًا عليهم - والرحمة غالبًا أفضل من العقاب، والمحبَّة أقوى من الخوف". وبعد ذلك اتخذ الحديث منحى المقارنة بين مميزات الطب الشرقي والغربي، وهو موضوع حساس لأن ابن سعود- كغيره من كثير من العرب - يُكنّ تقديرًا كبيرًا للطب الإغريقي القديم، ولا يتسامح مع حتى اقتراح ضعف ذلك الطب. وهذا التقدير متوارث عندهم مع ديانتهم⁽٦⁾، ولكن وجودي في خيمته ضيفًا دليل كافٍ على أن إيمانهم بالطب القديم بدأ يضعف.

الدكتور ميلريا وزوجته

وعندما شارف الضحى نهضت للمغادرة وقلت إنني لا يجب أن أعطّله عن أداء صلاته، ونهض هو أيضًا مناديًا أحد مساعديه ليأخذني إلى خيمتي، وقال: "آمل أن يُعجبك الغداء". وبعد أن وصلت إلى خيمتي بدقائق أُتي إليّ بوجبة

---

(٦) يقصد الكاتب الطب الشعبي، أو التداوي بالأعشاب. وربط ذلك بالإسلام وظنّه أنه متلازم معه يعود إلى جهله العميق بالإسلام، كما هو واضح من مجموع كتاباته في مجلة الإرسالية.

عربية تقليدية: أرز ولحم مطبوخ، وخبز، وحليب، وجبن إلى آخره. وكان هناك عند مدخل الخيمة أيضًا صابون وماء، ومنشفة يبدو عليها عدم النظافة الكاملة.

وقد تناولت غدائي وحدي، لأن ابن سعود ومن في مخيَّمه يتناولون وجبتين في اليوم فقط. فهم يتناولون وجبة في الصباح بعد حوالي ساعتين من شروق الشمس، ووجبة في المساء بعد حوالي ساعة من الغروب. ولكن الضيف لابدّ أن يكون له معاملة خاصة بالطبع. وبعد انتهائي من الغداء أتى الخدم مرَّة أخرى، وأحضروا هذه المرة فرشًا ووسائد ليكون بوسعي أخذَ قسط من الراحة خلال الوقت الأشد حرارة في اليوم. وأصبح المخيَّم ساكنًا، لا ترى فيه نَفَسًا أبدًا، لأن ساعة القيلولة هي أهدأ الساعات في أرض العرب، وفي بعض الأماكن، هي الساعة الوحيدة الهادئة في الأربع والعشرين ساعة، وفي الواقع تمتد الساعة عادة إلى ساعتين على الأقل.

استلقيت على الأرض بجانب شراع الخيمة المرفوع (يُرفع أحد أشرعة الخيمة ليسمح بدخول نسمة هواء لطيفة) أنظر إلى الرمال المحيطة، وهي تلمع تحت حر الظهيرة الصحراوي، ثم نظرت في اتجاه خيمة ابن سعود، وتساءلت: كم سيمضي من الوقت ليستضيفني في نجد كما استضافني هنا؟ وكانت هذه الفكرة ما تزال في رأسي عندما ذهبت إليه لأودّعه، ويبدو أنها كانت في رأسه كذلك لأنه تحدَّث عنها دون سؤال مني قائلاً: "لابد أن يصبح لدينا طبيب جيّد [في نجد]". ثم أضاف: "إن مدينة دون طبيب تُعاني كثيرًا"

فعاجلت بالقول بأنني مستعدّ للقدوم إليه مباشرة إن استدعاني. فردّ قائلاً: "لا أستطيع تحديد الوقت الآن، ولكن في وقت آخر بمشيئة الله".

لاحقًا سمعت من أحد رجال الكويت البارزين أن ابن سعود يخشى إن هو دعانا إلى عمق [الجزيرة العربية] أن لا يكون قادرًا على ضمان سلامتنا؛ فلا يزال هناك تعصُّب كبير في نجد، بالإضافة إلى أن الإمام أو شيخ الرياض، هو مُعارض تمامًا لوجود نصارى [في نجد]. ونفوذ ذلك الإمام، واسمه الشيخ عبدالرحمن(٧)، هو نفوذ مُطلق. فكونه والد ابن سعود يجعله يخضع له بشكل كبير، وإن كان ما يسمعه المرء عنه صحيحًا فهو في مقام البابا(٨). ومن حسن حظنا فإن الشيخ عبدالرحمن رجل طاعن في السن، لذلك يمكننا التطلُّع إلى انتهاء المعارضة من جهته. وابن سعود نفسه يريدنا، وروح البلد تتغيَّر ولكن ببطء، ودخولنا إلى نجد آتٍ لا محالة قريبًا كان أم بعيدًا. وبينما كنت في طريقي إلى منزلي في الجو البارد نسبيًا في المساء كان السؤال الوحيد في ذهني هو: متى يتحقق ذلك؟ وقد كان المرء يتساءل في الماضي: كم سيطول ذلك حتى يتحقق؟.

---

(٧) في الأصل (عبدالله) وهو خطأ من الكاتب.

(٨) لا أدري من أين جاز له هذا التشبيه، ولكن كما أشرت قبل ذلك فإن جهل هذا الكاتب بالإسلام يجعل ملاحظة مثل هذه تبدو من أهون أخطائه.

إصدارات دارة الملك عبدالعزيز

الدارة

ص.ب ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩/٢١٦٤ - فاكس ٤٠١٣٥٩٧
بريد إلكتروني info@darah.org.sa

دراسة تحليلية مقارنة لنقوش ثمودية من منطقة رم بين ثليثوات وقيعان الصّنيع جنوب غرب تيماء

تأليف

د. خالد بن محمد عباس أسكوبي

٥٧٤ صفحة

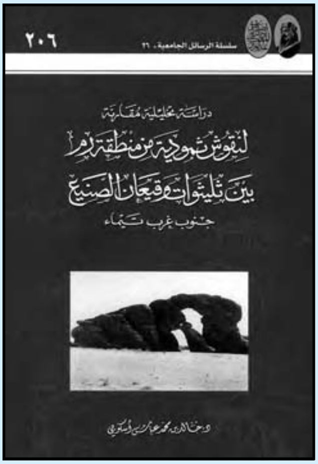

سلسلة الرسائل الجامعية ـ ٢٦

٢٠٦

دراسة تحليلية مقارنة
لنقوش ثمودية من منطقة رم
بين ثليثوات وقيعان الصنيع
جنوب غرب تيماء

د. خالد بن محمد عباس أسكوبي

يقدم الكتاب توثيقًا لنقوش أجزاء من المنطقة الواقعة في شمال غرب المملكة العربية السعودية، ويسعى لتحديد الأسباب التي كانت وراء اختيار هذه المواقع للكتابة عليها، ويُبيّن جوانب من حياة كاتبي تلك النقوش، ويحاول معرفة الصلات العرقية بين القبائل التي دونت هذه النقوش، وما دار في تلك المنطقة من نشاطات حضارية وأحداث تاريخية. إلى جانب تصنيف تلك النقوش ومعرفة صلتها بالنقوش المنتشرة في المناطق المجاورة.

وقد قدم الكتاب معلومات مفيدة في مجال الحياة الحضارية للشعوب العربية القديمة التي كانت تعيش في حدود القرن السابع قبل الميلاد إلى القرن الأول قبل الميلاد.